خلاصة ومقدمة في التفسير

محاضرة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

حفظه الله ونفع بعلمه العباد والبلاد

إعداد

عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه محاضرة بعنوان (خلاصة ومقدمة في التفسير) ولقد قام بإلقائها وبسطها فضيلة شيخنا العلامة الهمام /

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل

الشيخ

حفظه الله ورعاه

في يوم ٢٤ / ٤ / ١٤١٤ هـ بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض .

أسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين ، وأن ينفع به البلاد والعباد ، وأن يرفع درجاته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يجعل لي من الخير نصيباً . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

إعداد

عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، نحمده ونثني عليه الخير كله ، وهو للحمد وللثناء أهل ، حمدا متواترا متتابعا ، دائما لا ينفد ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، وصفيه وخليله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

أما بعد :

فأسأل الله جل وعلا أن يلهمني وإياكم الرشد والسداد ، والتوفيق في الأمر كله ، نعوذ به من فتنة القول ومن فتنة العمل ، نعوذ به من أن نَضل به أو نُضل ، أو أن نَذل أو نُذل ، أو أن نَجهل أو يُجهل علينا ، ثم إن هذه الدروس التي ستكون في تفسير كلام المنان جل وعلا ومع ذلك التفسير نبذ من أصول التفسير ، ومن معاقده ومن قواعده ، هذه الدروس إنما هي فتح أبواب لمن رام علم التفسير ، وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة فيمن بعدهم يعتنون كثيرا بتفسير كلام الله جل وعلا ، وبفهم معانيه ؛ لأنه هو الحجة على الخلق ؛ ولأن التعبد وقع به ، وبتلاوته وبفهم معانيه ، وبإنحاء كثيرة غير ذلك ، فلا غرابة أن ظهر كثير من الصحابة وقد اعتنوا بهذا العلم ، علم التفسير لحاجة الأمة إليه ، لحاجة المؤمن في نفسه إليه ، ثم لحاجة الأمة إلى هذا العلم ، فلا أعظم من أن يُشرح للناس ، وأن يُفسر لهم ، وأن يُبين كلام الله جل وعلا ، إذ هو الحق الذي لا امتراء فيه ، وهو

الحجة التي ليس بعدها حجة ، وهو القاطع الذي تقنع به النفوس وترضى به دليلا وبرهانا وحجة عند الاحتجاج وإيراد البرهان والدليل .

وهذا الكتاب العظيم جعله الله جل وعلا كتابا بلسان عربي ، بل بلسان عربي مبين ، يعني بيناً في نفسه ومبينا لما يحتاجه الناس من الأخبار ومن الأحكام ، والنبي عليه الصلاة والسلام قد بين للناس ما نُزِّل إليهم ، بين للصحابة رضوان الله عليهم ما يحتاجونه من معاني كلام الله جل وعلا ، إذ قد كُلف بذلك عليه الصلاة والسلام لقوله جل وعلا: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ لكن حاجة الصحابة رضوان الله عليهم لم تكن في فهم كلام الله جل وعلا كحاجة غيرهم ، بل إنهم إنما احتاجوا بعض التفسير وذلك لعلمهم بمعاني كلام الله جل وعلا لأنه نزل باللسان الذي يتكلمون به وباللغة التي ينطقون بها .

فسر النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة من القرآن فيما نُقل إلينا ، لكن لم يُنقل إلينا أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر أكثر القرآن ، بل إنما كان تفسيره عليه الصلاة والسلم للقرآن فيما نُقل إلينا كان ليس بالكثير ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر القوة مثلاً بالرمي ، في قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ فقال : ((ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)) وفسر عليه الصلاة والسلام قوله جل وعلا : ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ بأن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى . وكذلك فسر عليه الصلاة والسلام الزيادة في قوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ بأنها النظر إلى وجه الله الكريم .

ولكن مع ثبوت كثير من التفسير عنه عليه الصلاة والسلام لكن لم يفسر للصحابة كل القرآن ، نعم بين لهم معاني القرآن وأفهمهم معاني القرآن بحسب حاجاتهم ، وهكذا من بعد الصحابة من التابعين الصحابة نقلوا لهم التفسير الذي سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الذي أوتوه من العلم بالقرآن بمعاني آي الذكر الحكيم ، وكان نقلهم لذلك قليلا بالنسبة لما تكلم به المفسرون بعد ذلك من تفسير

آيات القرآن ، وذلك لأن القرآن ــ كما ذكرت لك آنفا ــ نزل بلسان عربي مبين . والناس إذا اعتنوا باللغة فهموا كثيرا من القرآن ، وربما لم يعلموا بعض الآي وذلك لعدم العلم ببعض اللغات ، أو لأسباب أخر تأتي في موضعها مفصلة إن شاء الله تعالى .

من ذلك مثلاً أن عمر رضي الله عنه كان يتلو كثيراً سورة النحل على المنبر يوم الجمعة وذات مرة تلا السورة وتوقف عند قوله جل وعلا : ﴿ **أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ فقال : ما التخوف ؟ كأنه لم يظهر له أن التخوف من الخوف ، ورام رضي الله عنه معنىً آخر ليكون أكثر دلالة على المعنى المراد في الآية . فقال رجل من هُذيل في المسجد : يا أمير المؤمنين ، التخوف في لغتنا التنقص ، قال شاعرنا أبو كبير الهُذلي يصف ناقة :

تخوف الرحل منها تامكاً قَرِداً كما تخوف عود النبعة السَفِن

ومعنى تخوف : أي تنقص . فإذاً يكون أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في عدم علمه بتفسير هذه الآية على هذا الوجه من التفسير ، كان من جراء أن هذا اللفظ وهو التخوف كان على لغة هُذيل . فسأل عنه رضي الله عنه .

وهكذا في كثير من الآيات لا يُجزم بأن الصحابة رضوان الله عليهم علموا معنى كل آية أو علموا معنى كل كلمة في كل آية ، بل ربما لم يعلموا بعض ذلك ، وعلمهم بذلك بالأكثر . لكن هذا باعتبار أفرادهم ، أما مجموع الصحابة رضوان الله عليهم فهم يعلمون معاني كلام الله جل وعلا ، فلا يفوت معنى من معاني القرآن على مجموع الصحابة ، بل العلم بكلام الله جل وعلا محفوظ في كلام الصحابة ، وما فسر به الصحابة القرآن إنما هو بعض علومهم بالقرآن ، فقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ما من آية في القرآن إلا وأعلم معناها وأعلم متى أنزلت وأين أنزلت وفيما أنزلت . كما رواه ابن كثير في مقدمة التفسير ورواه غيره .

وإنما فسر الصحابة القرآن بحسب الحاجة ، إما لحاجة السؤال يأتي سائل ويقول ما معنى قول الله جل وعلا كذا وكذا ؟ وربما فسروهم ابتداءً في كلامهم فيما يعلمون به الناس .

اشتهر من الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير كثير ، ولكن أكثرهم تفسيراً أربعة ، وهم : عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبَي بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين . هؤلاء الأربعة أكثر المنقول عن الصحابة في التفسير يدور عليهم .

والخلفاء الراشدون نُقل عنهم التفسير ، يعني أبو بكر وعمر وعثمان نُقل عنهم أشياء في التفسير ، كما روى أحمد وغيره أن أبا بكر تلا قول الله جل وعلا في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ . فقال : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده)) . ولقد نُقل عن أبي بكر أشياء كثيرة في التفسير ونقل عنه أنه أحجم عن تفسير بعض الآي . وكذلك عن عمر رضي الله عنه . لكن المشهورون بالتفسير من الصحابة هم الأربعة الذين ذكرت أسماءهم آنفا .

وتفاسير الصحابة هي التفاسير الأثرية التي يُعلم بيقين أنهم أصابوا فيها ، إذ لا يُحْرَم الصحابة العلم ويؤتاه من بعده . فالعلم النافع العلم الذي هو علم صحيح لا بد أن يكون عند الصحابة رضي لله عليهم ، ولهذا كان أشرف التفسير وأعظم التفسير وأبلغ التفسير ما كان منقولاً عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذا يأتي مفصلاً إن شاء الله في مقدمة التفسير ، يسَّر الله ذلك .

تفاسير الصحابة رضوان الله عليهم تميزت بمزايا كثيرة ، منها أنهم كانوا يعلمون القرآن ، والمفسر يحتاج في مصادر تفسيره أن يعلم القرآن ؛ لأن بعض الآي تكون مفصلة في موضع وتكون مجملة في موضع آخر . ويعلمون سنة النبي صلى الله

عليه وسلم ، والعلم بالسنة لابد منه في فهم كلام الله جل وعلا إذا السنة مبينة للقرآن ، مبينة لمجمله وربما مقيدة لمطلقه وربما مخصصة لعامه ، ونحو ذلك من العلوم النافعة التي لابد للمفسر منها .

فالصحابة رضوان الله عليهم تميزت تفاسيرهم بأنهم يفسرون كثيرا القرآن بالقرآن . وهذا التفسير قد يكون موضحاً فيه من قِبَل الصحابي الذي فسر أنه اعتمد على آية في تفسيره وقد لا يكون ذلك مذكوراً . وإنما يعلم ذلك أهل العلم . وكذلك فيما يفسرون من القرآن ويكون دليلهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا عالمين بأحوال العرب وبأحوال الملل التي كانت وقت نزول القرآن ، ومن المعلوم أن من مصادر التفسير المهمة العلم بالأحوال التي نزل القرآن وكان العرب على تلك الأحوال . معرفة أحوال المشركين على وجه التفصيل ، أحوال عباداتهم ، معرفة أحوالهم الاجتماعية ، معرفة ما يتعبدون به ، معرفة أحوال اليهود ، معرفة أحوال النصارى ، ونحو ذلك ، معرفة أحوال الطوائف ؛ لأن القرآن فيه آي كثير فيها وصف لهؤلاء إذا لم يكن المفسر عالما بتلك الأحوال فسر القرآن على غير بصيرة . لهذا كان من مصادر التفسير المهمة العلم بالأحوال التي كانت في زمن تنزيل القرآن .

كذلك من مميزات تفاسير الصحابة أنهم أهل اللسان وأهل اللغة ، والقرآن نزل بلسان عربي ، معنى ذلك أنه يُفهم باللسان العربي ، وفهمهم للغة ليس محل احتجاج ولا محل استدلال ، لكن كانوا يعلمون ذلك من منثور كلام العرب ومن منظوم كلام العرب ، ومر معنا ما استشهد به الرجل الهذلي في معنى قوله تعالى : ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾ . رُوي أن عمر قال بعد أن سمع ذلك من الهذلي ، قال : عليكم بديوان العرب فإن به فهم كلام ربكم . ويعني بديوان العرب شعر العرب . وقد روى الطبراني في المعجم الكبير ، وابن الأنباري في أول كتابه الوقف والابتداء ، وجماعة ، أسئلة نافع بن الأزرق المشهورة لابن عباس . وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يُكثر تفسير القرآن ، وكان يُفسر أو يُجيب على من يسأل عن

التفسير في فناء الكعبة . فكان في فناء الكعبة في ناحية من المسجد نافع بن الأزرق وصاحب اللهو ، فقال نافع ، وهو من الخوارج لصاحبه : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن . يعنون به ابن عباس ــ وهذا من أنواع جرأة الخوارج على أهل العلم من الصحابة رضوان الله عليهم ــ قال : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير كلام الله جل وعلا نسأله عن مصادقه من كلام العرب . فقام فقال : يا ابن عباس ، إنا سائلوك عن آي من القرآن لتخبرنا بمعانيها وتبين لنا مصادق ما تقول من كلام العرب . فقال ابن عباس لنافع وصاحبه : سلا عما بدا لكما . فقال نافع : أخبرني عن قول الله جل وعلا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ ما الوسيلة ؟ فقال ابن عباس : الوسيلة الحاجة . فقال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، ألم تسمعا إلى قول عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أي يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال فأخبرنا عن قول الله جل وعلا : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ ما العزون ؟ فقال : العزون الجماعات في تفرقة . فقال له : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أو ما سمعتما قول الشاعر :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

في أسئلة كثيرة اعتنى بها علماء التفسير ، وإن كان بعض المحققين من المفسرين وعلماء اللغة يكرهون الاستشهاد على معاني القرآن بالشعر ــ كما كره ذلك ابن فارس وغيره من العلماء ــ لكن جرت سنة أهل التفسير على أنهم يستشهدون بديوان العرب بكلام العرب لفهم ما كان غامضاً من معاني القرآن ، وما ذكر عن الصحابة في الاستشهاد بالشعر كثير ، وإن كان في أسانيده ــ على طريقة المحدثين ــ ما لا يُقبل .

المقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، بمنظومها ومنثورها ، وهذا لاشك يجعلهم في الريادة في تفسير كلام الله جل وعلا، وما بعدهم عندهم من النقص في التفسير بقدر نقصهم في فهم اللغة .

الصحابة رضوان الله عليهم من مميزات تفاسيرهم أنه يكثر فيها اختلاف التنـــوع ، وسيأتي في بيان أصول التفسير أن الاختلاف في التفسير ينقسم إلى قسمين :
اختلاف التنوع واختلاف التضاد . بل الاختلاف عموماً ينقسم إلى هذين القسمين .
واختلاف التنوع كالاختلاف في الأسماء مثلاً ، فإنهم اختلفوا في تفسير الصراط في قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ فقال بعضهم الإسلام ، وقـــال بعـــضهم القرآن ، وقال بعضهم : الصراط محمد صلى الله عليه وســـلم . وكلهـــا كـــالأفراد لمعنىً عام واحد .
هذا التفسير منهم وهذا الاختلاف ، اختلاف التنوع ، منهم أفاد المفسرين بعد ذلـــك كثيرا ؛ لأنه يكون كالإشارات يستفيد منها المفسر للتعبير عن معنى الآية بما يناسب الحاجة حاجة الناس لذلك ، لأن القرآن نزل هاديا للناس .
بعد ذلك ، بعد زمن الصحابة نشأت مدارس على أثر تفسير الصحابة للقرآن ، فنشأ في مكة مدرسة للتفسير معلمها عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، الذي دعـــا لـــه النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعلمه الله التأويل فقال : ((اللهم علمه التأويـــل)) وفي لفظ آخر : ((اللهم فقه في الدين وعلمه الكتاب)) ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها دعاء النبي عليه الصلاة والسلام لابن عباس أكثر من مرة ، يعني في أكثـــر من موضع .
وابن عباس تميزت مدرسته بحذق التفسير وبحسن الكلام عليه ، فمن تلامذته الذين نقلوا التفسير : مجاهد بن جبر أبو الحجاج ، العالم المعروف . فإنه عرض القـــرآن على ابن عباس ثلاث مرات ، يوقفه عند كل آية يسأله عن معناها ، ولهـــذا كـــان سفيان الثوري وغيره من أئمة الحديث يقولون : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فعليك به ، أو فحسبك . وذلك لأنه أخذه عن ابن عباس .
كذلك نقل التفسير عن ابن عباس أصحابه في مكة كسعيد بن الجبير ، وكعكرمـــة ، وكطاووس ، وجماعة . فنشأت مدرسة في التفسير في مكة . ثـــم توســـعت هـــذه المدرسة في تبع التابعين ، وهكذا .

كذلك في الكوفة ، في البلد التي سكنها عبد الله بن مسعود إثر بعث عمر له للناس هناك يعلمهم ويفقههم نشأت مدرسة لعبد الله بن مسعود في التفسير . وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ممن هم في الذروة في الصحابة في فهم كلام الله جل وعلا وكثيرا ما يفسر القرآن بما يعلمه من أسباب النزول ، فإنه ممن أسلم قديما وكان يقرأ القرآن أحسن قراءة ، وقد قال في ذلك النبي عليه الصلاة والسلام : ((من سره أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)) يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

نشأ في الكوفة أصحاب لابن مسعود نقلوا عنه التفسير ، وهكذا .وكذلك في المدينة نشأ أصحاب لأُبي بن كعب ، وكذلك ما نُقل من التفسير عن عليٍ رضي الله عنه ، وهكذا حتى كثر التفسير ، فاحتاج الناس بعد ذلك لما ظهر التدوين إلى أن يدونوا تفاسير السلف . وهذه الكتب التي دونت تفاسير السلف تسمى كتب التفسير بالمأثور؛ لأنه ليس فيها رأي لأصحابها ، كتفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، وقد طُبع مؤخراً ، وكتفسير الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، وكتفسير ابن مردويه وتفسير ابن المنذر وتفسير عبد بن حُميد ، وتفسير ابن أبي حاتم .

وأتى بعد ذلك ابن جرير فجمع كثيراً من تلك التفاسير المنقولة عن السلف في كتابه المشهور في التفسير . وهذه التفاسير المنقولة عن السلف في كتب التفسير بالمأثور هي عمدة الذين يفسرون القرآن بالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم ، لكن الصحابة رضوان الله عليهم ربما اجتهدوا في التفسير ، بل كثيراً ما اجتهدوا في التفسير ، فليس كل ما فسروا به القرآن قد سمعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أخذوا تفسيره من القرآن في آية أخرى بل إنهم اجتهدوا فيه ، وهذا كما يقول شيخ الإسلام وغيره : (العلم إما نقل عن معصوم وإما قول له دليل معلوم .) إما نقل مصدق أو قول محقق بالبرهان .

والصحابة رضوان الله عليهم فيما اجتهدوا فيه بالتفسير لم يُفسروا القرآن بالرأي المجرد المذموم ، الذي جاءت الأدلة بذمه ، وإنما فسروا القرآن بما عندهم من آلات

الاجتهاد والاستنباط . ولهذا أهل العلم بعد ذلك ربما فسروا القرآن بالاجتهاد والاستنباط ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم فسروا القرآن بالاجتهاد وبالاستنباط . فظهرت هناك تفاسير اجتهد فيها أصحابها أن يفسروا القرآن إما على وفق اللغة ككتاب " مجاز القرآن " ويعني بالمجاز معاني القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، الإمام اللغوي المعروف ، وككتاب الفراء " معاني القرآن " ونحو ذلك .

فنشأ مع مدرسة التفسير بالمأثور ، مدرسة أخرى في التفسير هي تفسير بالاجتهاد وبالاستنباط ، إما من جهة النظر في اللغة ، وإما من جهة النظر في النحو ، وإما من جهة النظر في أسباب النزول ونحو ذلك ، فأولئك الذين فسروا بالرأي ، يعني بالاجتهاد بالاستنباط منهم المصيب ومنهم المخطيء .

ابن جرير الطبري ، رحمه الله تعالى ، جمع علوم من قبله في كتابه الذي يعد أعظم كتب التفسير المؤلفة التي وصلت إلينا ، فإنه جمع فيها ما نقل في التفسير عن الصحابة بالأسانيد المشهورة عند المفسرين ، المرضية عند المفسرين ، وأخلا تفسيره من رواية المتهمين بالكذب كما يقوله الكثير من أهل العلم ، وساق الأسانيد وساق أقوال السلف ، أقوال أهل الأثر بالأسانيد المشهورة التي يتنقالها العلماء عنهم ، وذكر أيضا ما نقله أولئك عن الأئمة ، أو عن العلماء الذين فسروا القرآن بالاستنباط و بالاجتهاد ، فترى في تفسير ابن جرير ، رحمه الله تعالى ، أنه يورد التفسير بالمأثور ويورد التفسير بالاجتهاد ، بل أنه يذكر أحيانا تصويبا لقولا من الأقوال مع أنه تسنده قراءة متواترة ويخطئ الأخرى ، وذلك مصير منه على أن التفسير بالاجتهاد والاستنباط لا باس به ، إذا كان عند المفسر بالاستنباط والاجتهاد ملكة ، واكتملت فيه شروط الاجتهاد في التفسير ، فإنه للاجتهاد في التفسير شروطا قد بينها العلماء ، تأتي في موضعها في مقدمة أصول التفسير إن شاء الله تعالى .

فتفسير ابن جرير يعد الكتاب العظيم في التفسير ، ترى فيه البحث في القراءات ، ترى فيه البحث في اللسان واللغة ، ترى فيه الاحتجاج بأبيات العرب على المعاني ،

ترى فيه المباحث النحوية المختلفة ، والاحتجاج بأحد الأقوال بقول طائفة من النحاة ونحو ذلك .

فالإمام ابن جرير خلط هذه العلوم في تفسيره ، ترى فيه البحوث الفقهية عند بعض الآيات ، يعني أن كتاب ابن جرير ، رحمه الله تعالى يعد كتابا جامعا لعلوم التفسير ، ففيه التفسير الفقهي ، وفيه التفسير النحوي ، وفيه التفسير اللغوي ، وفيه وإن على قلة التفسير البلاغي ، وفيه التفسير الإجمالي ، وفيه التفسير التفصيلي ، وفيه التفسير بالأثر ، وهكذا في أنواع من التفسير ، الناس بعد ذلك في التفسير اخذوا علوم ابن جرير ، ونشروها في مصنفات في التفسير ، فمنهم من أخذ التفاسير الفقهية وأحكام القرآن فأفردها فصارت هناك مدرسة لتفسير القرآن بخصوص الأحكام ، وهي التي يسمي أصحابها كتبهم أحكام القرآن ، فاعتنى الشافعية مثلا بتفسير لهم يعتني بأحكام القرآن ، إما على طريقتهم ، إما على ما اجتهد فيه مؤلف ذلك التفسير ، كـ (تفسير أحكام القرآن) للكيا الهراسي .

وكذلك المالكية ، وكذلك الحنفية ، فسر ابن عطية القرآن وأورد فيه أحكام كثيرة ، وابن العرب المالكي في كتاب (أحكام القرآن) ، والقرطبي المالكي في كتاب (أحكام القرآن) ، وكذلك الحنفية في كتاب (أحكام القرآن) للقصاص ، وغيره من الكتب ، وكذلك الحنابلة ، وهكذا في مدرسة فقهية اعتنى أصحابها ببعض علوم القرآن ، ببعض تفسير القرآن ، وهو ما يستنبط من آي القرآن ، من أحكام فقهية .

هناك مدرسة أخرى اعتنت بالقراءات ، وتفسير القرآن بالقراءات ، ولها مصنفات .

هناك مدرسة أخرى اعتنى أصحابها بالتفسير ، تفسير القرآن على وفق اللغة ، إما من جهة المفردات ، وإما كغريب القرآن وهي كثيرة ، وإما من جهة الاشتقاق ، وإما من جهة البلاغة كتاب الزمخشري ونحوه في تفاسير مختلفة .

ومن ذلك تفاسير نحوية اعتنى بها أصحابها بتفسير القرآن على وجه النحو ، ومنها تفاسير عقدية اعتنى بها أصحابها بأن يفسروا القرآن على ما تقتضيه عقيدة ذلك المفسر ، وقد دخل أهل البدع وأهل الضلالات والفرق الضالة في نشر عقائدهم

وبدعهم وضلالتهم عن طريق تفسير القرآن ؛ لأن تفسير القرآن يقبل ، يقبل عليه العامي ، ويقبل عليه المتعلم يأخذون هذا العلم ، فادخلوا عقائدهم وبدعهم عن طريق تفسير القرآن ، فكثرت التفاسير التي فيها العقائد المذمومة والبدع المردية في أنواع من التفاسير ، كتفسير الموردي ، و(تفسير الكشاف) للزمخشري ، ونحوها من التفاسير ، وكتفسير الرازي ، وأبي السعود ، ونحوها من التفاسير التي ملئت بعقائد أصحابها ، إما المعتزلة ، وإما الأشاعرة ، وإما الماتريدية كتفسير النسفي ، ونحو ذلك من أنواع التفاسير .

وأهل السنة أيضا اعتنوا بتفاسير القرآن ، فهم في تفسير القرآن بين غيرهم ، كالشامة في البدن ، في حسنها وظهورها ، فهم فسروا القرآن على وفق تفاسير السلف ، واجتهدوا واستنبطوا من آي القرآن ما لم يأثر فيه علما عن السلف ، لكن كانت على وفق العلم النافع ، فإن أقولهم في ذلك أقوالا محققة منقولة عن السلف ، أو أقوال مدعومة بالأدلة ، وهذا كتفسير البغوي ، رحمه الله تعالى ، وتفسير ابن كثير ، والتفاسير المنقولة عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وعن ابن القيم ، ونحوهم من أهل العلم في هذا العصر ، فسر عدد من أهل العلم تفاسير حسنة من جنس مدرسة الأثر ، أو التفاسير السلفية ، كتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ونحوه .

المقصود من هذا أن التفاسير كثرت جدا ، في مدارس مختلفة ، فما الذي يجب على طالب العلم بالتفسير ، هل يأخذ كل هذه التفاسير ؟ بعضها مختصر وبعضها مطول ، بعضها تفاسير موسوعية مثل تفسير الفخر الرازي يذكر فيه كل شيء ، ومثل تفسير الألوسي (روح المعاني) ، التفاسير كثيرة مختلفة ، فأيها يعتني به طالب العلم ؟ لا شك أن العلم بالتفسير أمر مهم ، والتفاسير ما بين مختصرة ومطولة ، فالذي ينبغي على طالب العلم بالتفسير أن يعتني أولا بمعاني المفردات ، أن يعلم المعنى للمفردة ، يعني في آية لا يعلم معنى كلمة منها ، يذهب يبحث عن معنى هذه الكلمة في التفاسير المختصرة ، ومن التفاسير المختصرة التي تعتني ببيان بعض الكلمات تفسير الجلالين ، الجلال المحلي والجلال السيوطي على بدع في تفسيرهما

، ولكن العلماء في هذه البلاد قد أقرءوا هذا التفسير للطلاب في مرحلة المعاهد ، كما هو معلوم ، وذلك لأن البدع التي فيه معلومة وهي قليلة بالنسبة على الانتفاع الكثير الذي فيه . وإذا رام التفصيل أكثر ، له أن يستزيد ، يذهب إلى تفسير ابن كثير ، إلى تفسير ابن جرير ، إلى تفاسير أهل اللغة ، وهكذا .

ثم يعتني بعد معرفته بالمفردات ، بقراءة كتب التفسير المختصرة ، كما ذكرت لك من تفسير الجلالين مثلا ، أو إن كان عنده صبر من تفسير ابن كثير ، رحمه الله تعالى ، أو إذا رام المزيد في تفسير ابن جرير ، وهكذا .

فإذًا العلم بالتفسير لابد أن يكون على وفق التدرج ؛ لأنك إذا قرأت كتبا مطولة في التفسير ، ربما استحضرت بعض المعاني ، ولم تستحضر البعض ، ومن المعلوم أن العناية بعلم التفسير في هذا الوقت ، بل وفي طلاب العلم عندنا قليلة ، ولهذا مما ينبغي أن يحفظ هذا العلم ، وأن يُعتنى به ؛ لأن فهم معاني كلام الله جل وعلا أعز ما يكون ، وإن في فهم القرآن ، وفي فهم تفسير القرآن ، إن فهمه من العلم ما لا يوصف ، ولا يحصد ، يعرفه من أقبل عليه .

فإذًا يكون طالب العلم في قراءته في التفسير يبدأ بالمختصر ثم يتدرج ، أما عن طريقتنا في التفسير إن شاء الله تعالى ، التي سنفسر بها القرآن ، فثم طريقتان : طريقة مختصرة ، وطريقة مطولة .

أما الطريقة المختصرة : فهي أن يؤخذ كتاب من كتب التفسير المختصرة ، ويقرأ ثم يقرر عليه ، يعني يشرح ما غمض منه ، يبين ما فيه ، توضح معنى الآية ، إن كان ثم مزيد على ما ذكره المفسر .

وهناك طريقة أخرى مطولة أحسبها أنا أنفع للمتعلمين ؛ لأنها وإن كانت مطولة والتفسير الذي يقطع معها قليل ، لكنها تضع أصولا لطالب العلم بالتفسير يمكنه معها ، إذا فهمها أن يقيس عليها ، وإن يطلب علم التفسير على منوالها ، وهي أن يؤخذ في فهم الآية بالمعنى العام أولا ، بالمعنى الإجمالي الذي يحتاجه طالب العلم الذي يحتاجه طالب العلم في فهم المعنى العام للآية ، وهو الذي تُعنى به بعض

التفاسير ، الذي يسمى التفسير الإجمالي للآية ، ثم بعد ذلك يؤتى للتفسير التفصيلي للآية في فهم معانيها ومفرداتها وما فيها من البلاغة وتركيباتها ؛ لأن في هذا من العلم بإعجاز القرآن والعلم بأنواع من العلوم المهمة ، العلم بالسنة ، العلم بالعقيدة في تقرير التوحيد ، العلم باللغة بالاشتقاق بالبلاغة بالنحو ، ونحو ذلك من العلوم المهمة التي ربما لن يهتم بها طالب العلم إلا سمعها من جهة التفسير .

لهذا نقول فيمن رام تفسير القرآن ينبغي أن يكون مستحضراً فيه أن القرآن نزل هادياً للناس ، والله جل وعلا جعل القرآن نوراً ، والقرآن شفاء لما في الصدور وهدى للناس وبينات ، فهو مبين وهاد ، وهو نور ، وعلى هذا ينبغي أن يكون المفسر في تفسيره للقرآن ينظر إلى أن المقصود منه أن يهدي الناس للتي هي أقوم ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾ .

وحال الناس في كل زمن مختلفة ، كل زمن الناس فيه بحاجة إلى هداية القرآن والقرآن يهدي للتي هي أقوم ، والمفسر الذي يفسر القرآن أول ما يجب عليه أن ينظر إلى أن القرآن كتاب هداية فيفسر القرآن ليهتدي به الناس ، فإذا كان الناس في مرض في نفوسهم في قلة تعبد مثلاً كان تفسيره منظوراً فيه إلى هذه الجهة ، إذا كان الناس في ضعف من العقيدة والتوحيد وعدم معرفة مواقع الأدلة في ذلك فإنه يُعتنى في تفسير القرآن ببيان حق الله جل وعلا وتوحيده ، وما كان عليه أهل الشرك من العبادات الباطلة ، وهذا لاشك أنه في هذا الزمان أحوج ما نكون إليه .

كذلك إذا كان الناس في أمور في مجتمعهم أو في أنفسهم من منكرات فاشية أو من ضلالات فاشية أو تُفشى في الناس فيعتني المفسر ببيان مواقع الحجج على إبطال ذلك وإصلاح الناس وإصلاح المجتمع عن طريق تفسير القرآن ؛ لأن القرآن نزل هادياً للناس وهو يهدي للتي هي أقوم .

ولاشك أن العناية بالتفسير غرض كل متعلم ، وما أحسن ندم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في آخر عمره على أنه لم يشتغل طول عمره بتفسير القرآن للناس ، نعم فسر القرآن في مواضع كثيرة وما نُقل عنه من تفسير القرآن هو كالشمس ضياءً في

وضوحه وبرهانه ودلالاته ، لكن هو ندم على أنه لم يهدي الناس عن طريق تفسير القرآن . وقد ذكر من ترجم له ، كابن عبد الهادي وغيره ، أنه مكث سنة كاملة يفسر سورة نوح وهي سورة قصيرة ، سورة نوح مكث سنة كاملة يفسرها يوم الجمعة في مجلس له في التفسير ، وهذا لا يكون إلا على وجه التفسير المطول ليس التفسير الذي فيه بيان معاني الكلمات وحسب ، بل التفسير المطول الذي يعرض فيه المفسر لما يحتاجه الناس من العلم بالتفسير ، وهذا ولاشك هو أمثل الطرق ؛ لأن المقصود هداية الناس بالتفسير ، وأما إسماع الناس التفسير فإن القرآن طويل وتفسيره يأخذ أعماراً خاصة إذا لاحظنا أنه في مثل هذا الزمان لا يصبر الناس على دروس يومية في التفسير ، وإنما إذا صبروا صبروا على درس واحد في الأسبوع أو اثنين في الأسبوع ، وهذا لا يمكن معه أن يُفسر القرآن كاملا إلا يُقرأ كتاب مختصر في التفسير ويُعلق عليه تعليقات يسيرة فإنه ربما خُتم في بضع سنين .

هذا العلم بالتفسير الذي كان عند شيخ الإسلام رحمه الله وورثه لأصحابه رحمهم الله ، على هذه الطريقة ، هذا يحتاجه الناس ولاشك ، فالقرآن هو الشفاء وهو الهداية ، من رام الهدى في غيره أضله الله ، ولكن الشأن في فهم معاني القرآن .

وهل كلٌ يفسر .....

هذا له مدرسة كبيرة وهي مدرسة تفسير القرآن بالرأي ، ويُعنى بالرأي في هذا الموضع عند أهل التفسير الاستنباط والاجتهاد ، فمعنى تفسير القرآن بالرأي معناه تفسيره بالاستنباط والاجتهاد .

والرأي رأيان : رأي ممدوح ، ورأي مذموم .

أما الرأي الممدوح : فهو تفسير القرآن بالاستنباط وبالاجتهاد على وفق الأصول المعتبرة في الاستنباط والاجتهاد ، وقد فسر الصحابة كما ذكرت لكم بالاستنباط وهناك شروط لمن يفسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد ، وهذه الشروط جماعها :

أولاً : أن يكون عالما بالقرآن حافظاً له ، يعني مستظهراً له ، لآياته ، عالما مواقع حججه ، مستحضراً لكثير من القراءات المختلفة فيه ؛ لأن القراءات المختلفة تفسير

لبعض القرآن ، كما في قراءة مثلاً في قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يَطْهُرْن فإذا تتطهرن** ﴾ فإنه في القراءة الأخرى : ﴿ **ولا تقربوهن حتى يَطَّهَرْنَ فإذا تتطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله** ﴾ . فهذه تفسير لقوله ﴿ **حتى يَطْهُرن** ﴾ .

﴿ **حتى يَطَّهَرْن** ﴾ قراءة أخرى تفسير لقوله ﴿ **يَطْهُرن** ﴾ .

فإذاً العلم بالقرآن بحفظه واستظهاره ومعرفة مواقع حججه هذا شرط أول فيمن يريد أن يفسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد . أيضاً أن يكون عالماً بالسنة ، إما أن يكون بالقوة القريبة يعني بالبحث أو بالملكة ، يعني يكون حافظاً للسنة ونحو ذلك أو بالبحث ، يكون عالماً كيف يعلم ما بينت السنة من القرآن وكيف يثبت ذلك ، يعني أن يكون عارفاً بطريقة إثبات السنن، وهو المعروف عند أهل العلم بعلم مصطلح الحديث وعلم الرجال .

فلابد للمفسر بالاستنباط والاجتهاد أن يكون عالماً بالسنة بالحفظ أو بالبحث ، وعالماً بطريقة إثبات السنن عن طريق علم مصطلح الحديث ، والجرح والتعديل ، وقواعد ذلك . كذلك من الشروط أن يكون عالماً بلغة العرب ، يعني عنده معرفة بلغة العرب في مفرداتها وفي نحوها وفي علم المعاني بخصوصه من علم البلاغة ونحو ذلك من علوم اللسان العربي الشريف ، وهذا لابد منها للمفسر ؛ لأن من فسر القرآن بالاستنباط والاجتهاد وهو جاهل باللغة فإن تفسيره من قِبَل الرأي المذموم الذي ورد فيه النهي .

كذلك يحتاج المفسر أن يكون عالماً بأصول الفقه ؛ لأن أصول الفقه هي أصول الاستنباط ، وأصول الاستنباط يحتاجها المفسر كثيراً ، فكثير من مواقع الاجتهاد والاستنباط إنما تكون عن طريق أصول الفقه . أرأيت مثلاً مجيء الخاص بعد العام أو مجيء المبين بعد المجمل أو مجيء المقيد بعد المطلق ، أو مجيء النص ، أو مجيء الظاهر ، أو الحقيقة ، أو نحو ذلك التي كلها من أصول الفقه ، فمن لم يكن ضابطاً لأصول الفقه فإنه لا يحسن له بل يُذم إذا تعاطى التفسير بالاجتهاد .

في علوم أخر ذكرها أهل العلم ثم ختامها وواسطة عقدها أن يكون عالماً بكلام أهل السنة في توحيد الله جل وعلا عالماً بالاعتقاد الحق الذي دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة ؛ لأن هذا الاعتقاد الذي هو حق لا مرية فيه لابد أن يُفسر القرآن على وفقه ، فمن كان جاهلاً بذلك جهلاً بسيطاً فإنه إذا فسر القرآن في آيات الاعتقاد والقرآن كما هو معلوم توحيد كله فإنه يَضل وربما يُضل ، ومن كان عنده الجهل المركب في هذا الباب وفي هذا العلم الذي هو العلم بالتوحيد علم الاعتقاد ، بأن كان يعتقد خلاف الحق من أصحاب الأقوال الزائغة والأقوال المبتدعة فإن هذا يحرم عليه أن يفسر القرآن وفق آرائه المبتدعة الضالة التي ما كانت على وفق نصوص الكتاب والسنة وإنما كانت على وفق تقديم العقل على النقل ، كما هي أصول أهل البدع بأجمعهم . هذه العلوم لابد منها لمن يستنبط معاني القرآن .

الرأي الثاني : الرأي المذموم وهو قسمان :

أن يفسر القرآن برأي عن جهالة ، أو أن يفسر القرآن برأي باطل إما باعتقاد له أو نِحلة له ونحو ذلك كتفاسير أهل البدع . فتفاسير أهل البدع للقرآن هي كلها من قبيل الرأي المذموم الذي جاءت فيه عدة أحاديث تنهى عنه وتتوعد من فسر القرآن برأيه بأن يتبوأ مقعده من النار .

هذه خلاصة ومقدمة لما سنتعاطاه في هذه الدروس من التفسير ، وفي مقدمة التفسير أو في أصول التفسير سنقرأ إن شاء الله تعالى مقدمة شيخ الإسلام في أصول التفسير مع بيان ما اشتملت عليه من العلوم النافعة المتصلة بتفسير القرآن ، وأما في التفسير نفسه فسنبتدئ إن شاء الله تعالى بتفسير سورة الفاتحة ، فإذا أتممناها إما أن تختاروا كتاباً في التفسير وإنما أن تختاروا تفسيراً للقرآن على منوال ما ستسمعون إن شاء الله تعالى من تفسير سورة الفاتحة ، ونرجئ الاختيار إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى .

أسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم بالقرآن وأن ينفعنا به وأن يجعله حجة لنا ، وأن يجعله مظللاً لنا يوم القيامة ، وأسأله جل وعلا أن يوفقني وإياكم للسداد في القول في تفسير القرآن وفي فهمه إنه أكرم مسئول ، اللهم إنا نسألك بصيرة في قلوبنا وبصيرة في أقوالنا وبصيرة في أعمالنا ، ربنا لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين فإنه لا حول لنا ولا قوة إلا بك . وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الأسئلة

السؤال :

السؤالان الأولان يسألان عن تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب ، وهذا يقول : كما تلاحظ الحضور فيه المبتدئون في الطلب ، ولو استخدمنا طريقة التفسير المطولة ، فستكون شاقة عليهم ــ أخشى أن تكون شاقة على السائل أيضا ــ وسوف تطول مدة التفسير جدا خصوصا وأن الدرس مدة قصيرة ، ويوم واحد ؟

الجواب :

على كل حال إن أخذنا بالطريقة فلنا فيها سلف ، فقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله تعالى ، سورة نوح في سنة ، فنحن لو فسرنا مثل سورة نوح في شهر ، ما أظن تكون مطولة ، أما الطريقة المختصرة ، فالتفضيل بينها وبين الطريقة المطولة ، أتركها لكم بعد إسماعكم إن شاء الله تعالى تفسير سورة الفاتحة .

السؤال :

ويقول : لو غير موعد الدرس إلى مغرب السبت ، أو إلى مغرب الاثنين ؛ لأن مغرب الأحد يوافق موعد الدرس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، حفظه الله تعالى ، ونحن محتاجون إلى مثل هذا الدرس في التفسير .

الجواب :

الواقع أن تغير هذا اليوم بالنسبة لي لا يمكن ؛ لأن كل يوم بعد المغرب عندي درس في الجهة التي نسكن فيها ، وقد تباحثنا في هذا الأمر مع الأخ الشيخ فهد حفظه الله ، ورؤى أنه لا أنسب من هذا اليوم ، ولا شك أنه مما يحز في النفس بل يعظم على النفس أن يكون فينا الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله ، وأن يقبل الشباب ، وطلاب العلم على مثل ها الدرس أو على أمثاله ، فإن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر ، هذه سنة العلم ، لكن لما كثر طلبة العلم ، وكثر الشباب واحتاجوا إلى دروس مختلفة ، ارتكب شيء من المفسدة في ذلك ، وإلا فإن الأصل أن الدرس وطلب العلم يكون عند الأكابر ، عند أكابر العلماء ؛ لأنهم هم الحقيقون بالعلم ، الذين يفهمون العلم ، ويفهمون أدلته ، ويبينونه على وفق ما عُلموه ، أو وفق ما اجتهدوا فيه ، وهم أهل لذلك كله ، لكن لا يمكن إما أن نترك هذا الدرس ، ولو كان الحضور جميعا ، أو الأغلب فيهم أنهم سيحضرون درس الشيخ عبد العزيز حفظه الله لما عقد هذا الدرس أصلا ، لكن رُأي أن كثيرين من الشباب لا يحضرون الدرس أصلا ، فمجيء هذا الدرس في وقت درس الشيخ بما نتج من البحث مع الإمام وفقه الله ، وجد أنه لا بأس به ، وإلا فإن في النفس حسرة من ذلك ، لكن الشكوى على الله جل وعلا .

السؤال :

ما اسم كتاب شيخ الإسلام في أصول التفسير ؟

الجواب :

اسمه (مقدمة في أصول التفسير) هي التي سنبدأ بها إن شاء الله تعالى من الدرس القادم .

السؤال :

ما رأيكم في الكتب التالية : التحرير والتنوير ــ في ظلال القرآن ــ أيسر التفاسير

الجواب :

السؤال عن التفاسير ربما يطول ، فلعل تكون أسئلة عن علم أخص من السؤال عن التفاسير ؛ لأني ذكرت لكم مدارس التفسير المختلفة .

السؤال :

هذا سؤال مهم ، يقول : ذكرت أن من مدارس تفسير أهل السنة تفسير الإمام البغوي ، فما تعليلكم في اضطرابه في بعض آيات الصفات ؟

الجواب :

هو لم يضطرب ربما نقل تفسيرا ظاهره التأويل ، لكن يُحمل على أنه تفسير باللازم وهذا ربما وقع في تفسير ابن كثير ، وفي تفاسير بعض أهل السنة ، فإنهم يذكرون المعنى المراد الذي يلزم من المعنى الأصلي ، مثلا في قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان** ﴾ ، والاستواء بمعنى قصد ، معلوم أن الاستواء في اللغة ، وفي تفاسير السلف لا يكون بمعنى القصد ، ولكن هنا فسروا استوى بمعنى قَصَدَ لأنه عُديّ بإلى ، والتعدية بإلى أفادت أن استوى مضمنة معنى فعل آخر يناسب التعدية بإلى ، استوى إلى .

استوى معناها في اللغة وفي تفاسير السلف : علا . استوى إلى السماء يعني علا على السماء . فلما فُسرت بالقصد هنا ؟ فإن هذا التفسير لا يُعد تأويلاً لأنه تفسير باللازم ، لأن المعنى الأصلي معروف وإنما هذا المعنى الثاني ، يعني لأن كلمة استوى مثلاً مضمنة مع المعنى الأصلي معنى قصد ، فهم لم يذكروا المعنى الأصلي لظهوره وإنما ذكروا المعنى الثاني لأنه هو الذي يُحتاج إليه لأن التعدية بحرف إلى ، مثلاً في هذا الموضع ، يدل على أن المحتاج إليه لما عُديت بإلى . وهذا يسمى تفسير باللازم ، والتفسير هذا لا ينفي المعنى الأول ولا يُعد تأويلاً وإنما هو تفسير بلازم الإثبات .

فإذاً يكون تفسير ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ بقصد ، هذا تفسير باللازم . والفرق بين التفسير باللازم والتفسير بالمطابقة هذا سيأتي إن شاء الله مفصلاً في قاعدة شيخ الإسلام أوفي المقدمة ، وهو أن اللفظ له دلالات : دلالة بالمطابقة ودلالة بالتضمن

ودلالة التزام . هذا اللازم هو خارج عن اللفظ ، عن مطابقته وعن ما تضمنه ، لكن قد يكون مضمنا إذا كان معداً بحرف يناسب الفعل الذي ضُمِّن فيه ، مثل : استوى إلى . استوى إذا كانت بمعنى على فإنها تكون معداة بعلى ، يعني على التي هي حرف جر . كما قال جل وعلا ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ يعني استوى على العرش ، ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ ، الرحمن ، فاستوى تعدى بعلى ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك** ﴾ هذا بمعنى العلو .

فإذا أريد أن يكون مع العلو معنى آخر ضمن اللفظ الأول معنى فعل آخر دُل عليه بتعديته بحرف جر يناسب المعنى الذي ليس في مطابقة اللفظ . مثل هنا (استوى إلى) لما عدّ بحرف الجر (إلى) علمنا أنه ضُمن معنى (قصد) . هذا التفسير فيه إثبات للمعنى الأول ، فيكون المعنى (على السماء) : (قاصداً إلى السماء) فليس فيه نفي للمعنى الأول فيكون تأويلاً أو تحريفاً للكلم عن مواضعه ، وإنما فيه لإثبات للمعنى الأول وإثبات معنى ثانٍ دل عليه المقام ، وهذا له نظائر ، التضمين له نظائر ، مثلاً في قوله جل وعلا في سورة الحج : ﴿ **ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نُذقه من عذاب أليم** ﴾ . قال : ﴿ **ومن يُرد فيه بإلحاد** ﴾ معلوم أن كلمة (أراد) تتعدى بنفسها . يُقال : أراد كذا ، أراد الخير ، أراد الشر . ﴿ **فمن يُرد الله أن يهديه** ﴾ يعني فمن يرد الله هدايته ، هنا تتعدى بنفسها . هنا أعد أراد بحرف جر الذي هو الباء ﴿ **ومن يُرد فيه بإلحاد** ﴾ لو كانت أراد بمعنى أراد المعروفة لكان التعدية بدون الباء : ومن يرد فيه إلحاداً بظلمٍ . لكن لما عداه بالباء دلنا أن (أراد) مع معناها الأصلي ضُمنت معنى فعل آخر يناسب هذا الحرف الذي عُدي به ، والذي يناسب الباء هو (الهم) لأنه يُقال : هم بكذا . ولهذا كثيرون من أهل التفسير يقولون : إن معنى قوله : ﴿ **ومن يُرد فيه بإلحاد** ﴾ يعني من هم فيه بإلحاد . وهذا من خصائص مكة كما قرره ابن القيم مفصلاً في أول الهدي النبوي، يعني أول (زاد المعاد) ، وهذا له نظائر .

فإذاً ليس كل ما يكون ظاهره ــ في تفسير البغوي أو في غيره ــ يكــون ظــاهره ليس تفسيراً للصفة بما هو معناه مطابقة أن يكون تأويلاً أو مخالفة لمنهج الــسلف ، لا .. أحياناً يكون تفسيراً باللازم ، وهذا من العلم المهم أن يُعرف ، ويأتي إن شاء الله التنبيه عليه في مواضعه .

انتهت الأسئلة ونرجع إلى بعض الأسئلة :

في ثلاثة أسئلة عن كتاب (في ظلال القرآن) وسؤال عن كتاب (التحرير والتنوير) وسؤال عن (أيسر التفاسير) .

أما كتاب (التحرير والتنوير) فهو كتاب اعتنى فيه صاحبه بالبلاغة ، ومؤلفه هو ابن عاشور ، أحد علماء تونس المشهورين في اللغة الحفاظ ، ولــه مؤلفــات فــي البلاغة ، واعتنى منها موجز في البلاغة نفيس جداً ، له مطبوع في تونس قديماً ، وطبق قواعد البلاغة في تفسير القرآن . لكنه ما فرق في البلاغــة بــين البلاغــة العربية السلفية وبين البلاغة المعتزلية الخلفية ، فإن البلاغة قسمان : منها بلاغــة النظر في علوم اللغة في القرآن على وفق ما وضع من قواعد البلاغة ويكون هــذا صحيح ، وهذا إذا كان على وفق علوم العرب وما قرره علماء السلف وما قُرر في العقائد ، فهذا لاشك من العلم النافع الغزير . ومنها أشياء مما أحدثه الناس بعد ذلك ولا يُحتاج إليها أصلاً ، فهو خلط هذا ، يعني طبق قواعد البلاغة وأسس البلاغــة وتفصيلات البلاغة في القرآن ، وهو كتاب نافع للمتخصصين ، أما طالــب العلــم المبتدئ فلا يذهب إليه ولا يطلع عليه ؛ لأن فيه كثيراً من التــأويلات والتحريفــات التي في جنسه من كتب من لم يستقي من عين عقيدة السلف ، رحمهم الله تعــالى . وكتاب (أيسر التفاسير) وهو للجزائري ، هو كتــاب مختــصر وعليــه بعــض الملاحظات لكن في الجملة لا بأس به ، وعليه بعض الملاحظات لاحظهــا بعــض العلماء ما نحتاج نمثل بأمثلة ، موجودة هذه الملاحظات . هو في الجملة كتاب نافع سليم من البدع ، لكن ربما نقل أشياء أو ظن أشياء من الحق وهي من أقوال أهــل

البدع أو من أقوال أهل العصر في المحدثات وتشبيه بعض ما في القرآن من أخبار بما في العصر من مستجدات ووسائل ونحو ذلك .

أما كتاب (في ظلال القرآن) فهو كتاب دعوي ولا يصح أن يُنسب إلى كتب التفاسير وإنما هو كما ذكر صاحبه في مقدمة كتابه أنه مشاعر له وتدبر في الآيات ، فليس من كتب التفاسير لأنه لم يفسر الآية على وفق تفاسير الذين اعتنوا بالتفسير ، وإن كان يُسمى تفسيراً في هذا العصر ؛ لأنه كثرت كتب التفاسير التي على منواله . هو كتاب رام صاحبه فيه أن يضع قواعد ومرجعاً للدعاة ولمن يتأثرون بطريقته على القرآن الكريم . وكتابه في مواضع أحسن العبارة جداً مما يستفاد منه وفي مواضع منه أساء العبارة لما فيه من تأويلات وما فيه من متابعة للمعتزلة أو متابعة للأشاعرة . وهو ليس عنده أمر واضح بل ربما انتقد السلف في اهتمامهم ببعض مسائل الاعتقاد كما ذكر في أول سورة الأنفال عند قوله : ﴿ **زادتهم إيماناً** ﴾ فإنه ظن أن مبحث ، أو ذكر أن مبحث زيادة الإيمان ونقصانه أنه من مباحث علم الكلام . وهذا في أمثاله من المؤاخذات الكبيرة عليه ، ولهذا هذا في مسائل الصفات وهناك في مسائل أخر كمسائل التكفير فإن عند مؤلفه وهو سيد قطب إبراهيم ، رحمه الله تعالى ، عنده كثير من الغلو في هذه المسائل . ففي سورة الأنعام مثلاً عند قوله تعالى : ﴿ **وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ تكلم بكلام على أن مجرد طاعة الكفار يكون شركاً . ولهذا من تلمذ لكتابه هذا واقتصر عليه ربما خرج بأفكار من نحو هذه . وفي أمثال ذلك من مثل كلامه على أن النساء اللاتي يتابعن ما تُخرجه ــ على حد قوله ــ ما تُخرجه آلهة الأزياء في فرنسا ، يقول : لم يعلم النساء أولئك ــ يعني به مصمم الأزياء في فرنسا في الكتالوجات هذه المعروفة ــ يقول : لم يعلم أولئك النساء أنهن اتخذن أولئك المصممين آلهة لأنهن أطعن أولئك المصممين في تحريم الحلال وفي تحريم الحرام فلبسن ما حرم الله طاعة لأولئك فأطعن النساء أطعن آلهة الأزياء ، وسمى أولئك آلهة ، وهذا لاشك من الغلو ، ونحو ذلك . فالكتاب فيه مواضع مفيدة وفيه مواضع كثيرة جداً فيها انحراف عن

جادة معتقد السلف . ولهذا الذي ليس عنده علم بالتفسير لا يحسن به أن يقرأ مثل هذا الكتاب ، والذي ليس متحصناً في عقيدته لا يحسن به أن يقرأ مثل هذا الكتاب إلا أن اختار له أحد من أهل العلم أن يقرأ موضعاً معيناً فيه أحسن فيه وأجاد ، هذا ربما كان سائغاً ، ولكن في كتب أئمة السلف وفي التفاسير النافعة ما يُغني عنه ، وفي كلام علمائنا وأهل الحق الذين بينوا ما يجب بيانه من معاني كلام الله جل وعلا أو من مسائل الدعوة أو نحو ذلك فيه كفاية عن مثل هذا التفسير .

المقصود من هذا أن الواجب أن يعتني طالب العلم بتفاسير السلف ؛ لأنه يريد أنم يعلم علما نافعا واضحا لا إشكال فيه لمعاني كلام الله جل وعلا ، فكيف يعرض نفسه للهلكة بإقباله على كتب مختلفة ربما لم يحسن استخراج ما خالف فيها أصحابها منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

لهذا في هذه البلاد كان العلماء من قديم يمنعون التفاسير الضالة ، مثل تفسير الفخر الرازي مثلاً ، ومثل تفاسير الأشاعرة ، ونحوها ، كانت تُمنع من نحو عشرين سنة ، من ثلاثين ، يعني من عشرين سنة فأكثر ، أو نقول خمس وعشرين سنة فأكثر ، كانت تُمنع تفاسير ، مثل تفسي فخر الرازي لا يُباع أصلاً .

وقد ذكر لي بعض علمائنا أنه لما كان يدرس التفسير في الكليات ، وكان يُدرسه الشيخ عبد الرزاق عفيفي حفظه الله ، ذكروا له أنك لما لا نرجع لتفسير الفخر الرازي ولتفسير فلان ولتفسير فلان ، فقال لهم كلمة من بصير حاذق ناقض ، قال : علماؤكم أرادوا لكم السلامة في دينكم وتلكم الكتب فيها شوك وأنتم لا تحسنون الابتعاد عن الشوك ولا استخراج الشوك . هذه كلمة معبرة نفيسة منه رحمه الله ، مثل تفاسير الأشاعرة الكثيرة ما كانت تباع عندنا من قديم .

ولهذا ينبغي على أهل العلم أن ينبهوا طلاب العلم على العلم النافع المستقى من كلام أئمة السلف ، وتفاسير السلف فيها الكفاية ، وإذا احتيج إلى غيرها لمسألة فيه أو لبلاغة أو لبيان أو نحو ذلك ، فينبغي أن يكون القارئ على أشد الحذر في التأثر بتلك الكتب . والتفاسير كثيرة ولو تسألون عن كل تفسير في أكثر من مائة تفسير .

وهذا سؤال عن فتح البيان لصديق حسن خان ، ما رأيكم في تفسير الجلالين ؟ يعني كتب التفسير كثيرة صعب أن نجيب على هذه الأسئلة لأنه إذا أجبنا بإجابة مختصرة تناسب المقام ربما ما أعطيناك فكرة كافية عن تلكم التفاسير ، وإذا أطلنا فيها لم يناسب المقام ثم ربما صار فيه تضييق على بعض الأسئلة الأخرى . ولهذا حبذا لو لم يُسأل عن كتب التفسير ، إذا كانت في مسائل معينة في قواعد التفسير في أصول التفسير ، وكان ثم علم فيها أُجيب عليها إن شاء الله تعالى .

وفقني الله جل وعلا وإياكم وصلى الله على نبينا محمد .